قضايا سياسية

اسم المقال: مراجعة مقال "جدوى القوة: فن الحرب في العالم المعاصر"
اسم الكاتب: د. صـــلاح مهـــدي هـــادي الشمـــري
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/1484
تاريخ الاسترداد: 2026/05/11 23:56 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة قضايا سياسية الصادرة عن كلية العلوم السياسية في جامعة النهرين ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

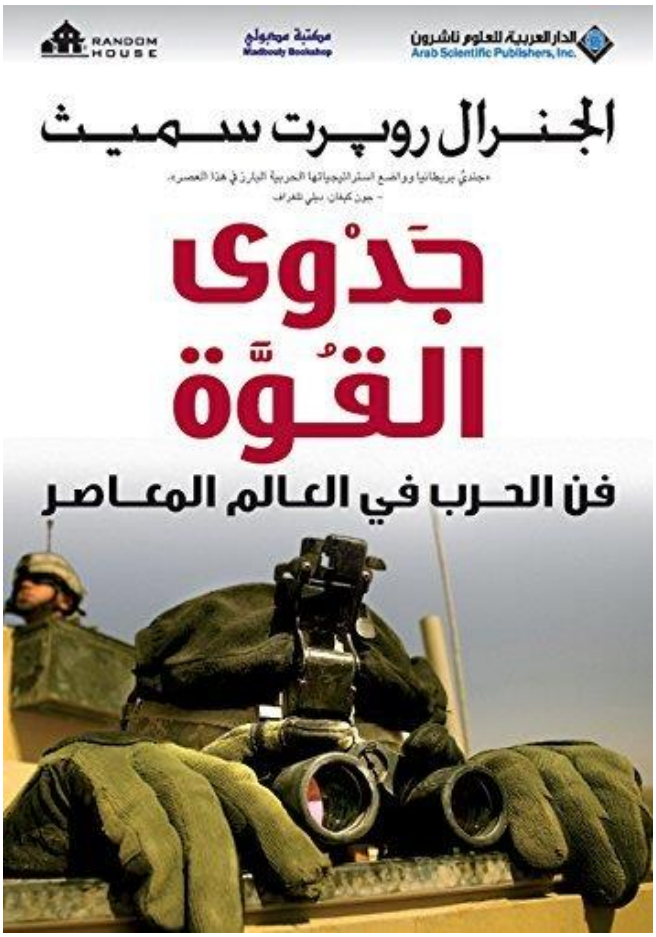

مراجعة مقال

جدوى القوة : فن الحرب في العالم المعاصر

The Feasibility of Force: The Art of War in Contemporary World

للمؤلف الكاتب : الجنرال روبرت سميث

مراجعة د. صلاح مهدي هادي الشمري

العراق ـــ جامعة النهرين / كلية العلوم السياسية ـــ قسم الإستراتيجية

يرى الجنرال البريطاني المتقاعد (روبرت سميث Robert Smith) في كتاب: (جدوى القوة: فن الحرب في العالم المعاصر)، إن القوة العسكرية المعتمدة من لدن دول العالم لن تعدّ تجدي نفعاً، معللاً ذلك من حيث فشلها في حل ما تواجهه أو ما نواجهه من مشكلات في العالم، كما يأمل القادة السياسيون لها أن تُحل. معبراً بقوله: (يجب علينا أن نغير الطريقة التي نقاتل بها ونستخدم القوة، قبل أن ندفع الثمن جميعاً إن لم نفعل ذلك) .

ويكشف الجنرال (روبرت سميث) إن كل الجيوش في العالم تواجه الحاجة الضرورية والملحة للتحول، ويضرب أمثلة حول ذلك، كـــ (حلف الناتو، وحلف وراسو"السابق")، لكن اليوم النقاش يحوم حول التكنولوجيا والأعداد والهيكلية التنظيمية، لاحول كيفية قتال هذه الجيوش ولأي غرض.

كتاب (جدوى القوة The Feasibility of Force) مخصص لشرح كيف يمكن استخدام القوة بأعظم جدوى ممكنة، (نظرياً، وعملياً). فإلى الجانب النظري، ثمة حاجة تستدعي من السياسيين فهم (الجوانب العملية) لاستخدام القوة وواقع العمليات العسكرية والحربية. هذه النقطة مهمة من أجل فهم الاعتبارات العملية في استخدام القوة، وأن يكون لاستخدامها جدوى في ذلك.

يذهب الجنرال (روبرت سميث) إلى القول بآنه استغرق في وضع هذا الكتاب أربعين عاماً، قضى خلالها بالتفكير في استخدام القوة (ممارساً، ومنفذاً)، ليقول عنها، أنها نهج للتفكير في استخدام القوة العسكرية ثم استخدامها لتحقيق الغرض.

في كتابه أيضاً، يدمج الجنرال (روبرت سميث)، تقريراً حول (فن الحرب في العالم المعاصر)، ويدمجه في ظل مخاوف أمنية عالمية تحمل على التفكير في استخدام القوة واستخدامها فعلاً في سيناريوهات متباينة جداً، غالباً مع حلفاء. ويذكر في الكتاب بعض الأمثلة مبيناً تعقيد مثل هذه السيناريوهات، كـــ: (الإرهاب، انتشار أسلحة الدمار الشامل، صنع السلام وحفظه، ضبط النزوع الجماعي للناس، حماية البيئة، حماية إمدادات بعض الموارد الشحيحة، كالطاقة أو الماء أو الغذاء). ويسرد أمثلة أخرى، قد تكون أقل وضوحاً، لكن الفكرة تبقى نفسها، من حيث اعتبار القوة العسكرية حلاً أو جزءاً من حل لطائفة واسعة من المشكلات لم تُرد وتصمم لها القوة العسكرية في الأصل.

تضمن الكتاب والذي يعبر عن عصارة خبرته الممتدة لـــ(40) عاماً، من (462) صفحة ثلاث أقسام، مسبوقة بمقدمة حول حياة الجنرال في الخدمة العسكرية عام 1962م وتخرجه ضابطاً عام 1964م، وتوليه مناصباً قيادية في مسارح العمليات الدولية الكبرى، بدءاً بقيادة الفرقة المدرعة البريطانية في حرب الخليج عام 1991م، ورئيس أركان دفاعية، مساعداً ومسؤولاً عن الإشراف عن جميع العمليات البريطانية، وقيادة قوة الحماية الأممية (UNPROFOR) في البوسنة عام 1995م، وقيادة القوات البريطانية بإيرلندا الشمالية بين عامي (1996–1998)، وكنائب للقائد الأعلى لقوات حلف الناتو في أوروبا(DSACEUR) من عام 1998م ولغاية 2001م.

اما اقسام الكتاب الثلاث، هي:

- القسم الأول/ الحرب الصناعية بين الدول.
- القسم الثاني/ مواجهة الحرب الباردة.
- القسم الثالث/ الحرب وسط الناس.

يبدأ الجنرال (روبرت سميث) القسم الأول بسرد تاريخي (الحرب الصناعية بين الدول): واوضح فيه إن فهم القوى العسكرية والعمليات العسكرية والحروب، مستمد من القرن التاسع عشر، وهو الزمن الذي تشكل فيه نموذج الحرب الصناعية بين الدول. إذ كانت حروب (نابليون بونابرت) نقطة البداية لتشكل هذا النموذج، والذي تطور خلال ذلك القرن مع ولادة ونضوج عنصريه الأساسيين وهما: (الدولة، والصناعة). لقد كان (لنابليون بونابرت) بما يمتلك من قوة بشرية، ميزة إستراتيجية كبيرة ثانية. كونه (رجل مدفعية)، فقد سمحت له قاعدته (الصناعية، والعلمية) أن يطور هذا السلاح المثير للإعجاب وقتها، هذا من جانب. ومن جانب آخر، أدرك (نابليون بونابرت) حقيقية إن القيادة كانت عامل حاسم في استخدام القوة. لأن القائد هو الذي يقرر هيكلية القوات واستخدام القوة. فأهليته للحرب، وشخصيته، ومعنوياته، وإرادة النصر لديه، هي المكونات الأساسية التي تعزز وتلحم وتركز إرادة ومسعى النصر لمن يعمل تحت إمرته.

كما شكل (كارل فون كلاوزفيتز) نموذج آخر للحرب الصناعية بين الدول بعد (نابليون بونابرت)، فضلاً عن الطرح والفهم الجديد لاستخدام القوة، إذ كان كلاً منهم، يقف في مواجهة الآخر، كمنظر وقائد إستراتيجي.

ومع نهاية القرن التاسع عشر، اكتمل نموذج (الحرب الصناعية بين الدول)، بعد أن استقرت أركانه الأساسية، كـــــ (الحشد، الصناعة، القوة، العملية والتنظيم). إذ أثبتت (الحرب الصناعية) جدواها، من حيث أنشأت دولاً وغيرت خارطة أوروبا. ومع تنافس القوى العظمى في أوروبا "الجديدة" هذه على السيادة، لاحت في الأفق نذر حرب صناعية أخرى. فقد بدأ القادة العسكريون، فضلاً عن قادة الأركان بوضع خطط، استندت في جانب كبير منها إلى مفاهيم مستمدة من حروب ومعارك سابقة، لاسيما حروب توحيد ألمانيا في 1871/1/18م. ولما أتت الحرب تبين أنها أضخم وأعتى مما كان يتصور، كونها (حرباً عالمية). كما شهدت الحربان العالميتان في القرن العشرين، وأحداث أخرى، تطبيقاً لنموذج (الحرب الصناعية)، في التطور العسكري، كلاً بطريقته.

وعنوان القسم الثاني من الكتاب تمحور حول: (مواجهة الحرب الباردة): ويشير الجنرال (روبرت سميث) في هذا القسم منه، وتحديداً صفحة (189) وما بعدها، إلى أنه ثمة حاجة في العودة إلى مفاهيم الجغرافيا. وعبر بقوله: (إننا في المجال العسكري لاندرس لا السياق التاريخي، ولا الجغرافي بعمق كبير، وأعني بذلك معارف التاريخ، والجغرافيا العامة. فالتاريخ سياق المعركة، والجغرافيا ساحتها. وتملي الجغرافيا التخوم الفيزيائية الميدان المعركة. حتى مع جميع التطورات التكنولوجية في هذا العصر، إذ ما يزال موقع المعركة، فضلاً عن محدودية وميزات هذا الموقع من تضاريس ومناخ وطبيعة التربة، تؤثر على المعركة، وتحدد نتيجتها. فالتكنولوجيا لم تجعل الأرض سطحاً ممهداً، والصاروخ سيظل يطلق من موقع ويسقط في موقعٍ آخر، ولكليهما صلة وثيقة جداً بالتطبيق الناجح للقوة. وبالتالي، فإن علم الجغرافيا، بوصفه دراسة الأرض وتفاعلها مع البشر فوقها، يزودنا بوسيلة لفهم ساحة المعركة والتوقع بطبيعتها لاستغلال عناصرها لمصلحتنا).

وكان الحديث في هذا القسم يتركز في اسلوب العرض الذي يبين لنا ان الصراع، كان وما يزال، يبقى دوماً عنصراً ملازماً للمجتمع البشري لا ينفك عنه. وأن نقطة الاختلاف الرئيسة بين (المواجهة، والصراع)، هي الغاية. فغاية المواجهات التأثير على الخصم، وتغيير أو تشكيل نيته، وإحداث حالة، وقبل كل شيء، كسب صراع الإرادات. أما غاية الصراعات فالتدمير والاستيلاء والتشبث بالأرض، أي التوصل عنوةً إلى نتيجة حاسمة بالتطبيق المباشر للقوة العسكرية سواء على المستوى التكتيكي أو العملياتي أو الإستراتيجي. وإن فهم كيفية نشوء عالمي الصراع والقوى المتوازيين المختلفين هذين، وكيف أصبح النموذجان متمازجين الواحد بالآخر، لكن من المهم للغاية السعي لمواصلة السلام.

كما يبين لنا في هذا القسم من الكتاب، ان الأساس الذي قامت عليه الحرب الباردة هو حاجة الطرفين إلى إقناع الطرف الآخر بأنه مستعد لخوض حرب شاملة أخرى، وبالتالي ردعه عن هذه الحرب، وقد كانت جدوى القوة كامنة في الردع النووي لا في الاستخدام. فأصبح هذا الاساس مبدأ ثم تحول إلى عقيدة، وهو ما عزز بقاء جاذبية الحرب الصناعية، وبأشكال عدة حتى يومنا هذا.

وبخصوص (جوهر الردع)، في هذا القسم، يذهب الجنرال (روبرت سميث)، إلى القول: (ان جوهر الردع، نووياً كان أم لا، هو الاعتقاد بان القوة التي يمكن أن تستخدم رداً على هجوم يجب ان تكون مدمرة للغاية، وأن هذه العاقبة مؤكدة إلى حد اعتبار أن الثمن الذي سيدفع فيها، أعلى بكثير من المكسب المأمول من الهجوم الأول. أما العنصر المهم الجدير بالملاحظة هنا، هو أن الطرف الذي

يقرر إن كان سيضرب أو لا الطرف، هو الذي يجب عليه أن يدرك مدى قوة وحقيقة القوة المعادية، وأن الثمن الذي سيدفع أعلى بكثير من المكسب المأمول من الضربة الأولى. وقد تضن ان سلاحك هو الأمضى، لكن لكي يحق النتيجة المرجوة بالردع يجب أن يكون الخصم على قناعة تامة انه سلاحك رادع، كما يجب أن يكون هناك شرط نجاح الردع وهو المصداقية باستخدامه وبكفاءة).

اما الدرس المهم والمستفاد، من كل الحروب والصراعات المشروحة في هذا الكتاب، في الواقع أنه نادراً ما يمكن التنبؤ بالنتيجة، لاسيما على أساس القوات المعروفة التي دخلت الحرب، أو على أساس ما لديها من مخزونات. كما هنالك حقيقة مهمة الا وهي، لايقاس بأس القوات بـــ (الأرقام) فحسب، بل بـــ (عدد الرجال والمعدات). إذ كانت مسألة تقييم بأس القوة دوماً مثار اهتمام، لكنها أصبحت أكثر إلحاحاً وصعوبة خلال القرن العشرين وصولاً إلى عصرنا الراهن. ويعلل ذلك بالقول: (أنه بعدالحربين العالميتين الصناعيتين الكبريين، أصبحت الصراعات تجري بين خصوم إما أنهم غير متكافئين بشكل ظاهر أو لامجال للمقارنة فيما بينهم، مثلاً قوات دولة صناعية مدججة بالتكنولوجيا ضد لاعبين ضعيفي التسليح وليسوا دولاً، ومع ذلك كان هؤلاء الأخرين غالباً إما هم الغالبين أو أنهم حولوا النصر العسكري إلى كارثة سياسية على المنتصرين. مثلاً كانت القوات الفرنسية والأمريكية تعتبر هي المتفوقة على قوات فيتنام الشمالية في جميع الميادين، ومع ذلك كانت هي الخاسرة في النهاية. وبالرغم من ذلك، مانزال نميل إلى اعتبار القوة التقليدية هي الأفضل والأقوى، لأننا نحتاج إلى تأكيد بأس القوة، لاسيما عند الدخول في صراع، وهذا هو السبب الأكبر. وهو بالضبط رجعة إلى اتجاهات التفكير نفسها التي كانت سائدة في الأوساط العامة والعسكرية على السواء قبل الحرب الكبرى، عندما كانت تعتبر الأعداد والتكنولوجيا والصناعة دليلاً على تفوق القدرة العسكرية. لم يكن هذا التفكير مفيداً آنذاك وليس هو الآن بأصوب مما كان).

وينهي الجنرال (روبرت سميث) هذا القسم من الكتاب، بإشارة إلى ان الحرب الباردة لم تكن أبداً حدثاً عسكرياً، ولم يملها القادة العسكريون. لكن كانت قبل كل شيء مواجهة سياسية وإيديولوجية، فاوض فيها السياسيون والدبلوماسيون مدعومين باستعراض القوة العسكرية، مؤمنين بقدراتها كمخلص وقت الحاجة.

أما القسم الثالث جاء بعنوان: (الحرب وسط الناس)، يتحدث فيه الجنرال (روبرت سميث) عن اتجاهات النموذج الجديد للقوة في العمليات العسكرية المعاصرة. ويشير فيه إلى أن (الحرب وسط

الناس) ليست نموذجاً أفضل من نموذج الحرب الصناعية بين الدول، ويصفها على إنها نموذج مختلف، وإن اختلاف الفهم، وقبول هذا الاختلاف، يجب أن يصبح جزءاً مركزياً من المسيرة المستقبلية. لأن المواجهات والصراعات لن تتوقف، ولن نستطيع منها فكاكاً، سواء كدول منفردة، أو كتحالفات أو أحلاف، ربما نيابة عن المجتمع الدولي. ويذهب الجنرال (روبرت سميث) إلى القول، بانه لا يوجد تاريخ محدد بدأت فيه (الحرب وسط الناس)، إذ ظهر تعريفها، كعالم من المواجهات والصراعات، في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وأخذت شكلها من النموذج النقيض للحرب الصناعية. لكنها أصبحت هي شكل الحرب السائد في نهاية الحرب الباردة، إذ لم تعد الحرب الصناعية في الواقع طرحاً عملياً باختراع القنبلة النووية.

ويعطي الجنرال (روبرت سميث) وصف تصويري (للحرب بين الناس)، على أنها: (أوضاع شبيهة بالحرب، ميدان القتال فيها كل الناس، أينما كانوا، سواء في المدن والبلدات والشوارع، وفي بيوتهم. ويمكن أن تجري الاشتباكات ضد مجموعات معادية ذات تشكيل ظاهر تتحرك بين المدنيين، أو ضد أعداء متخفين كمدنيين أو ضد المدنيين قصداً أو دون قصد) .

كما يشير الجنرال (روبرت سميث) أن (للحرب وسط الناس) ست سمات رئيسة، هي:

1- تحول الغاية، بمعنى تحول الغايات التي نقاتل من أجلها من غايات صلبة التي تقرر نتيجة سياسية، إلى غايات تقيم أحوالاً يمكن فيها حسم النتيجة.
2- القتال وسط الناس، بمعنى لا ميدان للمعركة.
3- الأفق الزمني المفتوح للصراع، أي لا منتهية.
4- القتال من أجل الاحتفاظ بالقوة، بدل المخاطرة بكل شيء لبلوغ الهدف.
5- تكييف الأسلحة القديمة من اجل استخدامات جديدة.
6- الأطراف المتحاربة في الغالب ليست دولاً، أي تشمل شكل من أشكال التجمع متعدد الجنسيات، ضد طرف ما أو أكثر ليس بدولة.

لقد بدأت الصراعات الموازية للحرب الباردة تميل إلى النموذج الجديد، وبدرجات متفاوتة حتى عام 1991م، إذ بدأت معظم الصراعات تعكس اتجاهات الميل إلى هذا النموذج، لسببين رئيسيين، أولاهما، انتهاء المواجهة الكبرى والذي حرر الصراعات الوليدة من القيود التي كانت تفرضها عليها مصالح الكتلتين. وثانيهما، أصبح النموذج الجديد هو السائد عام 1991م، كما أن الجيش الصناعي أصبح عملياً

قديم الطراز. لأن الحرب الباردة، والتي قامت على مفهوم إستراتيجية التدمير المتبادل المؤكد، هي التي استلزمت الإبقاء على هيكليات ومظاهر نموذج الحرب الصناعية بين الدول. فما أن انتهت حتى بدا الفراغ الحقيقي للنموذج، فقد كسب الغرب دون أن يطلق طلقة واحدة.

نهج (الحرب وسط الناس) يقوم على اعتبار العالم عالم مواجهات وصراعات لا عالم حرب، للقوة العسكرية فيه بالتالي دور تلعبه، بل أن هذا الدور ليس منفصلاً، ولا هو بالدور الذي يحقق الهدف الإستراتيجي بذاته. ويضرب أمثلة على ذلك، كالبوسنة عام 1995م والتي كانت مسرحاً لنهج (الحرب بين الناس)، وكوسوفو عام 1999م، وأخيراً، أحداث 11أيلول/ عام 2001م، واحتلال العراق عام 2003م. ليبين في هذا القسم من الكتاب: (ان الناس ليس هم العدو، بل أن العدو وسط الناس، وان غرض استخدام القوة العسكرية أو أي أداة نفوذ أخرى، هو التمييز بين العدو والناس، واستمالة هؤلاء الناس لصفك). لينهي بذلك في الحق بجدوى استخدام القوة العسكرية كأداة تدخل ونفوذ، كسائر أدوات النفوذ الأخرى الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية. وتركيزها من أجل تحقيق هدف واحد .